في اليونسكو، ثم البدء في محاصرته حين يتضح هذا الموقف للجميع.

وقد فحصت اللجنة ١٢٧ كتاباً. واقترحت التصريح بتداول ٤٨ منها دون تعديل، وسحب ١٤، وادخال بعض التعديلات على الكتب الباقية قبل السماح بتداولها. وحاولت الدول العربية التنسيق فيما بينها لاتخاذ موقف موحّد، لكن سوريا استمرت في تشددها، واشترطت أن تقوم اللجنة بفحص الكتب الاسرائيلية أيضاً. وكان المندوب السوري استخدم، في أحد ردوده، عبارة «الكراهية المقدسة»، وهي عبارة أخرجها المندوب الاسرائيلي من سياقها ورددها كثيراً في المجلس للتدليل على صحة اتهاماته. غير ان مصر والاردن ولبنان استمرت في اتخاذ مواقف شديدة المرونة، وأوضحت أنها لن تعترض، من حيث المبدأ، على ادخال بعض التعديلات، وفي الوقت عينه هددت مصر بالمطالبة بأن تقوم اللجنة بفحص الكتب الاسرائيلية أيضاً. وكان الهدف من هذا التهديد تثبيت حجتها القوية، والتي ضمّنتها ردها على تقرير اللجنة، وهي حجة مفادها ان لجنة دولية تفحص كتب أحد طرفي نزاع مسلح مرير، ومعقد، في ضوء المثل العليا وحدها، لا بد، بالضرورة، وأن تكتشف وجود بعض التجاوزات، بالمقارنة مع هذه المثل العليا في حالتها المجردة؛ لكن الحقيقة النسبية لا يمكن التوصل اليها بدون معرفة مضمون كتب الطرف الآخر، وهو ما لم يتم. غير ان مصر كانت مقتنعة بأن الاصرار على فحص الكتب الاسرائيلية لن يفضي الى أي نتائج عملية، ولن تقبله اسرائيل. وهذا هو ما حدث؛ اذ اشترطت اسرائيل، لقبول هذا، أن يتم فحص الكتب الدراسية في جميع الدول العربية.

وأثبت التكتيك المصري ـ الاردني ـ اللبناني المشترك أنه الاكثر فعالية في مثل هذه المواقف. فسرعان ما دفع التناقض والصدام بين اسرائيل والمدير العام لليونسكو، رينيو ماهيو، الذي تعاونت معه مصر والاردن، تعاوناً كاملاً، وتفاوضتا معه حول التعديلات المطلوب ادخالها، والاعتبارات التي يتعين الاستناد اليها، وحثتاه، في الوقت عينه، على الاسراع بالسماح للكتب التي لا خلاف عليها بدخول الارض المحتلة. لكن اسرائيل اشترطت للسماح لهذه الكتب بدخول الارض المحتلة أن تطبع «بدون أية اشارات رسمية، مثل الشعارات، أو الاعلام، أو صور القادة، أو اسم الناشر... تجنباً لأي تعقيدات سياسية»[١٢]. وهنا صاح ممثل لبنان في المجلس التنفيذي، في غضب: « هذا اجراء كلاسيكي يذكرنا بسياسة الاستيعاب التي استخدمها هتلر في فرنسا بعد العام ١٩٤٠... ان ضم الاراضي يبدأ بالهيمنة على الارواح والضمائر. وهذه اللغة يمكن فهمها من ممثل دولة القوة فيها تعلو على الحق وتسحق القانون، ولكنها لا تصلح للاستخدام في منظمة للامم المتحدة؛ فطبقاً للقانون الدولي، لا يعني احتلال الارض ضمّها»[١٣].

وكان الموقف الاسرائيلي هذا فرصة للدول العربية لكشف حقيقة النوايا الاسرائيلية؛ كما كان بداية صدام استمر لفترة طويلة بين ماهيو والمندوب الاسرائيلي، صمد فيه ماهيو للعديد من وسائل الابتزاز والتآمر. ولا يتسع المقام، هنا، للدخول في تفاصيل هذا الصدام؛ لكنه كان بداية لاتخاذ القضية وجهة أخرى؛ اذ بدت اسرائيل، لا الدول العربية، وكأنها هي العقبة في وجه تسوية هذا الامر. وتوجه العديد من قرارات المجلس التنفيذي لليونسكو الى اسرائيل، مرة بالنداء، ومرة بالاستنكار، الخ، الى أن تمّ السماح لهذه الكتب بدخول الارض المحتلة، بعد ادخال التعديلات الضرورية.

والجدير بالذكر، هنا، الاشارة الى ان الموقف السوري هو الآخر بدأ يتغير نتيجة للضغط العربي على سوريا، من ناحية، ونتيجة للنتائج الايجابية التي بدأت تسفر عنها جهود اليونسكو من ناحية أخرى. لكن سوريا اختارت حلاً آخر يتمشى مع منطقها. فقد قامت الحكومة السورية بتشكيل